عبير كمال الدين

بعض الأشياء لا ترحل

اسم الكتاب: بعض الأشياء لا ترحل

تأليف: عبير كمال الدين

الإخراج الداخلي: د. شيماء أبوطالب

تدقيق لغوي: هدية علي

تصميم الغلاف: حسن العربي

الطبعة الثانية: 2023

رقم الإيداع: 25485 /2022

الترقيم الدولي: 0- 7 - 86406-977-978

دار القاهرة اليوم

ج.م.ع
الإسكندرية

Email: mazagelkotob@gmail.com

Mobile: 01024541339

الإهداء

إلى روح أبي، وابتسامة أمي، إلى خليل قلبي ورفيق دربي، إلى أخوتي عزي وعزتي، إلى سحر فلذة كبدي، إلى صديقاتي الحبيبات أُهدي هذه الرواية..

مقدمة

في ليالي الشـــتاء الباردة لا يمنحنا الدفء ســـوى الحُب، لا عناء في إيجاده فهو أمامك ســـوف تجده في أمٍ حنون أو أبٍ رؤوف أو أخ رحيم، أو صـــديق وفيّ. ربما تجده في جميعهم أو بعضـــهم، ولكن عندما لا تجده ســـوى في أحدهم أعدك أنه ســـيكفيك فقط حينها التمسّـــك به، ومن أجل الشـــعور بقيمة رحلتك في الحياة لا بُد من وضـــع هدف والعمل بكل جهد للوصـــول إليه بما لا يخِلّ بمبادئك حتى لا تتذوق طعم الأســـف. ســـوف أترك عزيزي القارئ بين يديك هذه الرواية لترى فيها ألم الضـــياع وفرحة النجاح ومواقف الأحباء والأصدقاء وتُغيّر وجه الحياة بين الحين والآخر، قصدت أن تلامس قلبك، أتمنى أن تستطيع، قراءة ممتعة لعقلك وقلبك...

أيام مؤلمة

دخل دكتور عزت المتابع لحالة ســـارة منذ دخولها في تلك الحالة المجهول ســـببها، مروان جالس بجوارها كعادته منذ تلك الواقعة، يتأملها والدموع تملأ عينيه والشـــرود يُســـيطر على ذهنه أغلب الوقت، وبينما هو على هذه الحالة، دخل دكتور عزت ليقطع هذا الشـــرود قائلًا: وعندما يكون الطبيب فاقدًا للأمل هكذا فماذا عن المريض!

مروان: أبدًا ما فقدت الأمل ولكن قلبي به من الخوف والشوق ما لا يُطاق.

الطبيب عزت: ســوف يطمئن قلبك، ســوف تســعد قريبًا بشــفائها ولكن عليك أن تكون مســتعدًا. ثم ابتســـم له ابتســـامته المطمئنة ومضى وهو يعرف أن الأمل ضعيف ولكنه على كل الأحوال موجود ما دام الله موجود لا يغيب الأمل أبدًا..

مروان أبى أن يمضي ويترك سُكن روحه كما كان يُطلِق عليها دائمًا، فقط كان هذا النداء مخصص لها " سكن الروح".

بعد مضي 7 أيام على تلك الحالة فكّر مروان أن يقوم بعمل يُسعدها حين تستفيق من تلك الغيبوبة، فتذكَّر كلماتها له عن

بعض كتاباته وخواطره وتشجيعها له الدائم، ليقوم بتأليف كتاب، وإقناعها له أن أسلوبه في الكتابة مختلف ورائع على الرغم من علمه أنه ليس بهذا القدر ولكنه عمل بجد على أن يقوم بهذا العمل هنا وهو بجانبها حتى يأخذ الإلهام من وجوده بجانبها والنظر إلى وجهها الصافي البرئ هادئ الملامح، فأتى بالأوراق والأقلام وجلس بجوار سكن روحه ليكتب..

البداية

لا أعلم من أين أبدأ ولكني في هذه الرواية والتي ســتكون أول رواية لي أقوم بكتابتها، الآن لم يحضــر في ذهني أي كلمات ســوى عنها سوف أحكي عنها وعن كل ما يتعلق بها وعن كل ما مَرّت به مستعينًا بما ذكرته في مذكراتها، ســوف أقص عليكم كيف كانت وكنا ولكني لن أضـع لروايتي نهاية أبدًا، لأنها ســوف تســتفيق وتضـع هي نهايتها بنفسها.

دعوني الآن أخبركم عن "ســكن الروح" دعوني أخبركم عن ســارة، وأعدكم أنه ســوف يكون بطريقة حيادية دون المبالغة تأكدوا أن كل صـفة وهمســة نابعة من روحها الجميلة الهادئة وليســت مجرد كلمات يصفها بها محبوبها.

لم تكن سارة يومًا من محبي المظاهر والمجاملات فهي بسيطة للحد الملفت في حديثها ومظهرها ومع ذلك تبدو أجمل ممن حولها بكثير، تمتلك عيونًا واســعة ووجهها كالقمر المســتدير ذات ملامح هادئة، وطباع ســوية زكية تفوح منها مكارم الأخلاق، وليس هناك ما هو أهم في الفتاة من طِيب خُلقها..

في قلبها الكثير من الضـــوء والخوف، في بعض الأوقـات ترغـب في احتضـان كل موجوع ومتعب وفي أوقات أخرى تريد أن تضـيء بنور قلبها كل قلب مظلم.

ســـارة ابنة وحيدة لرجل يتمتع بســـيرة حســـنة تأثر الألباب عُرف بالطيبة والودّ وحب الغير، وكان شـــديد الحب لها ولما لا وهي ابنته الوحيـدة وقرة عينـه، كان يتوتر بمجرد اختفـائها من أمـام نـاظره أثنـاء قيـامه بـالتـدخين، ولكنها لم تكن تُحب أن ترى والـدهـا وهو يُدخّن، فكانت أثناء قيامه بذلك تنعزل وحدها، ولمجرد تخيّلها لـه على هذه الشـــاكلة ينقبض قلبها وتفقد التركيز، وتقول في نفســـها كيف لهذا القلب الطيب ومثلي الأعلى وملاكي وملاذي بعد الله أن يُمسك بيده تلك الخنفسـاء ضـئيلة الحجم قذرة الرائحة والبالغة الضـــرر، كان عقلها يُجن من التفكير وتســـعى دائمًا أن تحثه على التخلي عن هذه العادة المميتة، ولكن دون جدوى لم يُقلل هذا من حبها له، كل ما في الأمر كانت تخشـى عليه المرض بسـببها، ولم تكن تملك ســـوى الـدعـاء لـه بـالتخلص منها، وهو لأجلها حـاول مرارًا التخلص من تلك العادة ولم يستطع ولكنه حاول التخفيف منها.

أما والدتها فقد كانت _رحمها الله_ كثيرة الحنان والعطف عليها، تخشـى على ابنتها من أن يمسـها أدنى ضـرر منذ نعومة أظافرها وحتى أصبحت في ريعان شبابها...

وهكذا نشأت سارة مغمورة في هذا الحب والعطاء في بعض الأحيان كانت تتمنى لو أن لديها أختًا ولكن سـرعان ما كان يتلاشـى هذا الشـعور بوجود ابتسـامة أمها لها وقرب والدها الشـديد منها والمناقشـات الدائمة بينهم والمتطورة في كل مرحلة من مراحل عمرها..

أنشـأها والدها على حب القراءة والقرب من الله وأنشـأها على الصـدق مهما كانت العواقب والإعراض عن الكذب مهما كان الموقف فلا تتصور أنه النجاة، دائمًا هو هلاك حتمي.
كان والدها يعمل بالمحاماة وله في قلوب الناس حب كبير ومكانة عظيمة فقد كان أحد الشـرفاء القليلين في تلك المهنة، أحب كلية الحقوق وتخرج ليعمل بالمحاماة برغبته، أحب تلك المهنة العظيمة ولما وجدت سارة كل هذا الحب من أبيها لعمله أرادت أن تتخرج من نفس الكلية..
كانت هناك بالجوار صـديقتها هنا منذ الصـغر في كل المراحل مع بعضـهم البعض اعتادت عليها كثيرًا وأحبتها كل الحب و"هنا " هي

الأخرى كانت ترى في ســـارة أختها وأقرب الناس لقلبها، والأجمل أن العائلتين كانتا على علاقة وثيقة بســبب قرب مســكنهم لســنوات عديدة، كما تجمعهم مواقف كثيرة، كانت عائلة هنا بســيطة هي الأخرى لديها أمها وأبيها وأخ يكبرها بثلاث سنوات.
عاشـــت طفولتها كأجمل ما يكون وعندما كانت بالثانوية العامة تفتَّحت كالوردة وأقبلت أكثر على العالم واعتادت على القراءة وهي أجمل ما يعتاد عليه إنســـان... عند قدوم مرحلة الجامعة كانت في غاية السعادة، قبل أول يوم لها بالجامعة قضت ليلة طويلة ولكنها جميلة يغمرها انتظار عالم جميل ومثير على الرغم من أنه بالنسبة إليها عالم مجهول ولكنها منذ زمن تنتظر هذا اليوم وتلك المرحلة من عمرها فكم من أيامٍ وليالٍ تخيّلت نفســـها بهذه المرحلة ولطالما كانت تُحدّث نفسها وكأنها تعيشها وتتخيل وتُطلق لنفسها العنان..

كان يومها الأول تشـــعر وكأنها ملكة ذاهبة إلى عرشـــها كأنها الآن في العالم الذي ســـيجعلها أكثر ثقافة وأكثر تهذيبًا على الرغم من أنه لم يكن هناك ممن حولها من هو أكثر تهذيبًا واحترامًا وحياءً منها..

قضت سارة يومها الأول بكلية الحقوق وكأنه يومها الأول والأخير لم يكن هناك من الطلاب من هو أشـد انتباهًا منها في المحاضرات على الرغم من أن المعتاد في أيام الدراســـة الأولى بالجامعات عمومًا

مجرد تعارف بين الأساتذة والطلاب وبين الطلاب وبعضهم البعض، وعرض بعض النماذج من قبل الأساتذة للتحفيز الذي سرعان ما يتلاشى ويختفي من عند الشريحة الأكبر من الطلاب وبصرف النظر عن الشريحة التي لم تتقبل أي من هذه الكلمات ولا تدخل عقلها من البداية..

هناك في آخر المدرج كان يجلس أحد الطلاب بعيدًا يُشاهد هؤلاء الطلاب الذين يتهامسون ويتلاعبون داخل المحاضرة ويُمسك بقلمه ليكتب "ولمَ ينتبهون وهم يشاهدون آلاف الخريجين بالمقاهي وآخرين لم يحصلوا على عمل بشهاداتهم العلمية بل العمل ليس له صلة بالشهادة، أما الرابح فهو من يستطيع الحصول على عقد عمل خارج هذا البلد، الرابح هو من يستطيع أن يغترب لسنوات بعيدًا عن أهله لعالم مجهول ربما يعود منه مقتولًا أو لا يعود كل هذا وأكثر فقط لمجرد أن يستطيع تحقيق حياة كريمة ليعيش كإنسان طبيعي من أجل هذا لزامًا عليه أن يغترب وما أدراك ما الغربة وما تسببه من آلام نفسية، لكن من يريد حياة عليه أن يُجرّب الموت في سبيلها... فويلٌ لكل من لن يجد حياة كريمة هنا.. ويا ويلي أنا مما ينتظرني في هذا العالم!"

صوت الدكتور.. "انتهت المحاضرة".

هذا اليوم مضى منذ زمن ولكنه ظل في ذاكرتها، وتتذكر كل ما كان فيه، كما حكت لي من قبل وفهمت من "هنا"..

كانت شـديدة الحرص على حضـور المحاضـرات وقد أولت قيمة كبيرة وعظيمة للأسـاتذة بكليتها فهم دائمًا ما كانوا في ناظرها ذوات شـأن عظيم ولا زال الأغلب منهم إلى تلك اللحظة تُكِن لهم كل حب وتقـدير ولم تختفِ لمعـة عينيهـا عنـدمـا تتحـدث عن أي منهم، وتتحدث بفخر كبير إذا حلت سيرتهم.

فقد حدثتني أنها في يوم من أيام المحاضـرات تأخرت عن حضـور محاضرة في الأسبوع الأول من الدراسة تحديدًا من السنة الأولى لها وهي متلهفة لحضور المحاضرة ولكن الباب كان قد تم إغلاقه، هذا شـيء هيّن ولكن بالنسـبة لها لم يكن هكذا لدرجة أنها أجهشـت في البكاء لعدم السـماح لهـا ولبعض الزملاء بـالـدخول وحضـور المحاضـرة حتى سـخر منها أحد زملائها وقال ضـاحكًا: "بتعيط علشان تدخل محاضرة!"

لم تلتفت له ولم ينشـغل عقلها بما قاله، طريقته ولهجته تدل كم أن هذا الطالب مسـتهتر ولا يهتم لما يفعله من الأسـاس حتى أنه يجلس دائمًا بعيدًا وحيدًا في آخر المدرج وهو نفسـه لا يعلم لماذا

يأتي لتلك المحاضرات وهذا العالم الذي لا يروق له. بعد مرور دقائق وحرص بعض الطالبات على حضور المحاضرة ذهب العامل ليُخبر الدكتور أن هناك بالخارج من يستأذنون سيادته لحضور تلك المحاضرة، وقد كان سمح لهم بالدخول، هنا توقَّفت دموع سارة وحلت محلها ابتسامتها الصافية الجميلة بالفعل حضرت المحاضرة وكأنها مؤتمر لرئيس، ولما لا فالعلم يفوق السلطة ويصنعها أما السلطة في غياب العلم تُهدم، ولكننا قليلًا ما نولي لكل ذي حقٍ حقه..

هكذا ظلت على هذه الدرجة من الاهتمام لفترة من الزمن ولكن لم تدُم هذه الفترة طويلًا وحلّ محلها الإهمال بالمذاكرة مع التشتت المستمر بين مواقع التواصل الاجتماعي وطموحها العالي الذي يفوق حدود السماء وهي لا تتعدى الأرض للوصول إليه بالاجتهاد والعمل، نعم النجاح في الحياة لا يعتمد على الشهادة الجامعية، ولكنها في الغالب تكون بداية للتطلّع والتقدّم والمبادرة للأفضل.

ولكن في هذه المرحلة تغيّر حالها، أصبح أكثر ما تقوم بفعله هو التفكير في كل شيء وأي شيء ولكن تفكير دون عمل، ودون فائدة أو جدوى، تفكير لا ينتج عنه سوى الصداع الدائم ولا يعود سوى بالاكتئاب. كان آنذاك تفكير سلبي لأنه ينصبّ على الاهتمام

بأشـــياء لن تســـتطيع القيام بتغييرها ولا بتغيير جزء منها في تلك المرحلة من عمرها..

في خلال طريق ذهابها وعودتها من وإلى الجامعة كثيرًا ما كانت ترى الكثيرين من الشـباب في العديد من المقاهي وخصـوصًـا القريبة من الجـامعة، هـذا المنظر كثيرًا ما كان يؤلمها ويُسـبّب لها الأرق ليلًا، كانت ذات قلبٍ رقيق تُشـفق على حال شـباب بمقتبل العمر يُفني طـاقتـه الجبـارة وعمره الغـالي بـالجلوس في المقـاهي والتسـكّع في الـطرقات، ويُدمّر نفسه وصحته بالتدخين وما أبغض على قلبها من التـدخين! لأنهـا تعي جيـدًا آلامه ومخـاطره لما مرّ بـه والـدهـا مرات عـديدة من أزمات صـحية نتيجة للتدخين، وفي الـواقع الأمر شـائع وخصـوصًـا بين الشـباب ولا يقف إلى حد التدخين بينهم، ما خفي كان أعظم ولكن براءتها أوقفت تفكيرها عند هذا الحد الـذي هو بالنسبة إليها أضل سبيلًا لما يمر به طالب جامعي منذ هذا السن، لم تعِ بعد أن أغلب الشـباب الجامعي أصـبح اليوم هو الضـلالة ذاتها والمجني عليه والجاني أيضًا على نفسه!

كان للاصـطدام بالـواقع الدور الكبير والأشـد تأثيرًا على ما تحوَّلت إليه، توهجت في البداية وبرق الكون في عيونها البريئة ولكن سرعان ما انطفأ كل هذا وتغيّر فيه رأيها وتغيّرت نظرتها للحياة.

هكذا كان العام الأول بالجامعة، عام غريب يبدأ بالحماس الذي سرعان ما ينتهي في نفس العام خصوصًا لمن تكون علاقتهم بالعالم الخارجي محدودة ومقتصرة على قلة قليلة ممن حولهم.

ففي العالم الجامعي تجد أنه قليل من ينتبه للحرام والحلال والكثير يأتي من مجتمعات فاسدة بالأصل وآخرون لديهم من الكبت ما يكفي للانحراف بكل السبل ولديهم راحة الضمير، نعم على الجانب الآخر الكثير من الأسوياء والجادين والمتفوقين سواء من الأساتذة أو الطلاب ولكن الفاسدين والمُفسدين أكثر بكثير في هذا العالم ومحيطه. وجدت سارة الجانبين مما سبَّب لها التشتت والتيه بعد انتهاء الفترة الأولى والقليلة جدًا من محاولة الالتزام التي لم تدُم طويلًا حتى أعقبها إهمال شديد في المذاكرة على عكس "هنا" فقد كانت على درجة متوسطة من البداية ولا تُريد أن تهتم كثيرًا ولا تُهمل أيضًا، كان الأهم عندها أن تتخرج من الجامعة بعد الأربع سنوات ونستمتع بالخروجات والأكلات الشهية في المطاعم داخل وخارج الجامعة، دائمًا تذهبان للجامعة سويًا ولكن لا تعودان معًا، "هنا" سرعان ما تعرفت على صديقات جديدات واندمجت معهن ليخرجن سويًا ويذهبن لأخذ كورسات ببعض السناتر وتعود سارة مباشرة إلى بيتها لتحكي لوالديها تفاصيل اليوم وتدخل لغرفتها لتفكر كثيرًا وتُضيّع الكثير من الوقت على

الفيس بوك وجروبات الدفعة غير المجدية، ظلت على هذا الحال طوال العام الدراسـي الأول ومع اقتراب امتحانات نصـف العام بكلية الحقوق لم يكن أمام الكثير من الطلاب سـوى الملازم الخارجية، وهذا غالبًا ما يحدث بجميع الكليات فالأمر ليس مقتصـرًا على كلية الحقوق وحدها، والتي أحيانًا ما يقوم بعملها بعض المعيدين للأسـف، ويقوم البعض الآخر بالتوجه إلى بعض الأماكن التي يقومون بها بعمل دروس خصـوصـية في بعض المواد والمتوقع في الامتحانات، المؤسف حقًا أن هؤلاء الطلاب يستطيعون وبسـهولة أن يحصلوا على تقديرات عالية يمكن ألا يحصل عليها طلاب المحاضـرات ذاتهم، لم تكن سـارة أبدًا تحب هذا الأسـلوب كانت تحتقره كل الاحتقار، دائمًا ما كانت تقول في نفسـها "كيف لطالب جامعي أن يجلس أمام شـخص ربما لم يكن حاصـل على الليسـانس من الأسـاس ويتلقّى من خلاله العلم، كيف وصـل الاسـتهتار بدكتور المادة إلى هذا الحد وتبجيل واحترام هؤلاء اللصوص، الذين سـرقوا منا التمتّع بالعالم الجامعي هذا الصـرح العظيم للعلم في هذه المرحلة"

وعند اقتراب موعد الامتحانات وجدت سـارة نفسـها تقع في الفخ فقد كانت لا تعلم عن الكثير من المواد سـوى القليل جدًا من ذاكرتها مما سـمعته داخل المحاضـرة في القليل من الوقت قبل

شـــرودها وعدم التركيز الذي ســـرعان ما ينتابها، ففزعت إلى" هنا" لتأخذ منها مواعيد المراجعات النهائية بالدروس الخصـــوصـــية كي تُحصّل شيئًا تدخل به للامتحانات، لم تكن تعلم أنها سوف تذهب إلى هذه الأماكن وتنجح على يد هؤلاء اللصـــوص عند شـــعورها بالضـياع في بعض المواد.. غالبًا ما نقع في فعل أشـياء كثيرًا ما نلوم الآخرين على فعلها والوقوع فيها مع الوقت نجد أنفسـنا منغمسـين فيما كرهناه يومًا وما انتقدناه بشدة!

كان والـدها يُلاحظ تغيير مزاجها ويعي الفرق بين حماس البداية وما أصـــاب ابنته من خمول وتشـــتّت بعد ذلك ولكنه أراد لها أن تمضـي بهذه التجربة ويعلم أنها سـرعان ما تسـتفيق لأنه يثق كثيرًا في طريقة تفكيرها وما تربّت عليه وما هذه الفترة إلا وقت عابر ســـوف تخرج منها بالتجربة التي تعود على شـــخصـــيتها وعقليتها بالكثير من الدروس المستفادة التي تجعلها أفضل في المستقبل.

وحصـلت في نصـف العام الأول بالكاد على تقدير جيد مما أحزنها ولكن والدها لم يُعقّب ســـوى بقوله "كنتُ أتمنى أفضـــل من هذا لأنك أفضل حقًا من هذا" وهكذا في نصف العام الثاني حتى مضت السنة الأولى.

نتائج الفشل أحيانًا تكون مثمرة

تعلمت سارة الكثير من هذا العام حتى أنها كتبت في الدفتر الصغير الخاصة بها عنوان (الدروس المستفادة من العام الأول في الجامعة) فقد عرضتها عليَّ من قَبل لأجدها كتبت تلك النصائح لنفسها بنفسها...

- ليس كل ما يدور في العالم حولنا يستحق الاهتمام، ولكن ما نسعى إليه فقط هو ما يستحق الاهتمام.
- لا أحد سوف ينشغل بما يطمح إليه شخص آخر، كل منا له اهتماماته وأولوياته ولا بُد أن تُحترم.
- من المؤسف أن ننغمس بأشياء وأشخاص ثم نُقلّدهم ونحن لا نشبههم من الأساس.
- المحافظة على مبادئنا لم يكن عيبًا، ولا عيبًا بمخالطة البعض والتعرف على الكثير من الزملاء ولكن المشكلة الحقيقية في السماح لهم بالتأثير علينا وقبول التأثر بهم.

- لا يهم سوى حضور المحاضرات وليست لكل الأساتذة، فالكتاب الجامعي هو المنهج الصحيح لتلقي العلم وليس ما يتم الترويج له من ملزمات.

هكذا كتبت سارة الكثير مما تعلمته من أجل أن يكون نصب عينيها في السنوات المقبلة من الدراسة.

في الحقيقة دائمًا هناك تأثير إيجابي للشعور بالفشل.

أصبحت الحياة ذات معنى بعد تذوق طعم الفشل ليس الفشل في أنها لم تحصل على امتياز ولكنه الإخفاق في الكثير من أهدافها ومبادئها. أصبحت الحياة تحمل معنى أجمل مع الالتزام بما يتوجب على المرء الالتزام به والصراع للتفوق فيما هو موكّل للقيام به، والقدرة على التعامل مع الأشخاص مختلفة الطباع والأجمل الحصول على مكانة ليست بصغيرة في قلوب الكثيرين ممن حولنا، هذا ما يجعل العالم أكثر جمالًا وما يجعلنا أكثر بهجة وإقبالًا على الحياة.

عملت هي بكل السُبل من أجل الوصول للنجاح على مستويات كثيرة، وكانت تدخل مع والدها في الكثير من المناقشات حول ما يتم شرحه في المحاضرات وما تستوعبه من المذاكرة في الكتب، مما ساهم في حصولها على تقديرات عالية ما بقي من سنوات الدراسة

لتحصـــل في المجموع التراكمي على جيد جدًا مما أســعد والديها وأسعدها كثيرًا..

ربما هذا لا يُعد إنجازًا لدى الكثيرين ولكنه بالنســبة لها إنجاز أن تســتطيع الوقوف بعد الانهزام والقدرة على مواجهة هذا العالم بعد الاســتســلام فالإنجاز الأكبر لســارة الخروج من تلك المرحلة بأمان والتفوق واتســاع مســتوى الثقافة لديها فقد أحبّت دراســة القانون وتفوقت بها بعدما أخفقت في الدراســة في الســنة الأولى فقد استطاعت المواجهة من جديد...

قد درست سارة الكثير بجانب القانون، وحصلت على كورسات في اللغة الإنجليزية والحاســب الآلى وغيرهم من العلوم المتنوعة وأساسيات لمتطلبات سوق العمل اليوم، بالإضافة لعشقها للقراءة فقد كانت بين كل وقتٍ وآخر تقرأ كتابًا أو رواية أدبية فهي من عشاق هذا النوع من الكتب..

تخرجت ســارة من كلية الحقوق، في حفل مبهج رائع وكانت هي مشــرقة أكثر من عادتها ليس ممن حولها أجمل منها وليس هناك فتاة بين الحضــور تمتلك نظرتها البريئة وبســاطتها الخاطفة. التقطت صــورة مع والدها وأخرى مع والدتها والثالثة تجمعهم الثلاثة ســويًا والرابعة لها ولهنا صــديقتها التي تخرجت معها مثلما

فعلت هنا أختي معنا ثم جميعًا التقطنا صـورة سـويًا للعائلتين معًا فرحًا بتخرجها هي وأختي هنا.

هنا تصـــل إلى المســـتشـــفى وتدخل الغرفة لتجد مروان مُنشـــغلًا بالكتابة بجانب سـارة وتتحدث إلى مروان بصـوت أعلى ويدها فوق كتفه..

هنا: أخي ماذا تفعل؟!

مروان: ها! مرحبًا يا هنا متى أتيتِ؟!

هنـا: أنـا منـذ دقـائق. ثلاثـة نـداءات لـك ولم تســـتجـب، مـا الـذي يشغلك وماذا تكتب؟!

مروان يُغلق ورقه على ما يكتبه ويقول: لا شيء يا هنا مجرد خواطر أُسلّي بها نفسي وأنا بجوارها.

هنا: خواطرك هذه سوف تُعجب سارة كثيرًا عندما تستفيق.

مروان: أتمنى تلك اللحظة يا هنا، أنتظرها بفارغ الصبر.

هنـا: لقـد طمـأنني الطبيـب قبـل أن آتي إليكم ســـوف تكون بخير، وتعود من جديد لصديقتها وحبيبها وصغيرتها الجميلة.

ســـكت مروان لبرهة وكأنه يتذكر أنه لديه طفلة ثم قـال: أرجو في المرة القادمة أن تأتي بها يا هنا أريد أن أراها.

هنا: هي بخير لا تقلق، وســـوف أحضـــرها لتراها وتملي عينيك من جمالها.

مروان: لقد تعبتِ معي كثيرًا، شكرًا لك يا أختي.
هنا: لا تتحدث هكذا أبدًا، أنا سعيدة بوجود هنا الصغيرة معي كما أنني سـعيدة بالتواجد في دار الرعاية من وقت لآخر وأحببت الأطفال هناك بشكل كبير.

طُرق باب الغرفة ليجدا سـليم يسـتأذن للدخول كالعادة أتى به محمود بعد إلحاح من سـليم ليطمئن على سـارة، فأذن له مروان بالدخول، وخرج إلى محمود ليطمئن منه على حالة دار الرعاية وما تحتاج إليه ومدى اهتمام هنا بها، فأخبره محمود أن هنا تقوم على رعاية الأطفال بها على أكمل وجه كما أنها لا تُطيق أن ينقصـهم أي شـيء، فاطمأن مروان وسـعد بأخته كثيرًا، ثم دخل مروان وجد سـليم يبكي وهنا تهدئه وتطمئنه، فقام مروان بوضـع قبلة على جبينه وطمأنه وقام باحتضـانه حتى هدأ تمام، ثم طلب من هنا الذهاب مع محمود إلى الدار، فرحت هنا لذلك ومضيا.

عاد مروان ليكمل ما بدأه... اسـتيقظت لتعد الفطور بنفسـها لنفسـها كعادتها بعدما فقدت الجميع ومع اشـتياقها إلى حبيبها الأول وزوجها، أو الذي كان زوجها لوقت قريب جدًا.
في ذلك اليوم تحديدًا، أطلقت لنفسـها العنان لتسـترجع تفاصيل كل ما مضـى من عمرها كل لحظات السـعادة والتعاسـة والحب والغضب، ليس هناك أشد من أن يدور عقل الإنسان منا ويتذكر

كل ما كان ومن كانوا معه ولا يجد سوى نفسه وحيدًا لا يملك أحدًا ولا يملكه أحد. نعم الله موجود وهو مالك كل موجود، ولكن أصعب ما يمر به الشخص هو انعدام الأحباب من حوله مهما كانت الأسباب ومهما أظهر عكس ذلك لا أحد يستطيع أن يشعر بالسعادة في غياب المقربين منه، وروحه لن تستطيع تجاهل ما يُسببه فراقهم من ألم، كذب كل من قال لا يعز عليَّ فراق أحد. هذه الحالة الحالية لسارة أما على الجانب الآخر بعيدًا هناك أنا مروان زوجها.

حب غير مصرّح به

كانت "هنا" بطبيعتها متكلمة وخفيفة الظل ومرحة بشــكل كبير تحب الحياة ولا تحمل لها همًا كثيرًا ما كانت تُبهج ســارة بطريقتها وعفويتها والتقارب بينهما في الطباع ولكن ســارة تهتم أكثر للأمور، وكانت متحفظة لحد ما أكثر من هنا، ربما هذا التحفظ البســيط مع كل تلك الصفات الجميلة التي تمتلكها سارة هو ما جعل مروان منذ كان في عمر السادسة عشر ينجذب إليها ويُتيم بها ولكنه أخذ عهد على نفســه ألا يبوح بهذا الحب إلا في الوقت المناســب وكلما أراد أن يتحدث معها كان يذهب ليكتب ما يريد أن يقوله ولا يستطيع التصريح به في هذا الوقت على أمل أن تقرأه لاحقًا، ولأنه على أتم ثقة أنه لو أخبرها ســوف تُعرِض عن التعامل التام معه ولكن الآن تتعامل ربما بشــكل بســيط جدًا بحكم قرب العائلتين وكونه أخ لأقرب صديقة لقلبها ولو أفصح عن حبه لها قبل الوقت المناســب وقبل التأكد من مشــاعرها نحوه ســوف تكون العواقب مخيّبة لآماله وموجعة لقلبه فآثر الســكوت في تلك المرحلة على أن يُحدّث والده أولًا بعدما يُكمل دراسته بكلية الطب التي كانت حلمه منذ الصغر ليُصبح طبيب عيون..

كان على عكس هنا هادئ الطبع ولكنه طيب القلب، وجميل الروح وشديد الوسامة، له ابتسامة جميلة هادئة مثله، لطيف في حديثه يفكر قبل أن يتحدث ويراعي الكبير والصـغير ويهتم بمن لا يهتم به أحد وكان رهن إشـــارة أمه وأبيه لا يرفض لأي منهما طلبًا كما كان شـــديد القرب لأخته، اســتطاع كســب صــداقتها، فســمح لها أن تتحدث معه في كل ما يخصها مهما كان وأمدها بالأمان كي لا تخاف ولا تخجل منه هذا ما جعلها قوية لا تخشـــى أحد ولا تحمل همًا للحياة.

دائمًا ما كان محل إعجاب من قِبَل ســارة ولكنها في ذلك الوقت لم تكن تراه أكثر من أخ لصـديقتها وابن محبوب لصـاحب أبيها ودائمًا ما كانت تسأل نفسها هل هناك من الفتيات من تستطيع السيطرة على قلبه! أعتقد أنه صعب ولكنه ليس مستحيلًا.

أحلام وغايات

سارة دائمًا ما كانت ترغب وتتمنى لو يسمح لها القدر بأن تتمكن من ترك بصمة لها هنا على جبين هذا العالم، حتى ولو كانت هذه البصمة صغيرة ولكن تريد ترك أثر لها وكثيرًا ما كان يضيق قلبها الصغير على حال أوطانها ومجتمعها وتريد لو تستطيع أن تُعيد بناءه، وأكثر ما كان يؤلمها في بلدها ويؤلم قلبها أشد الألم أن ترى أطفال الشوارع الذين يُمارسون التسوّل وغيرهم الذين يبيعون المناديل والحلوى بالتحايل على الناس من أجل استعطاف قلبهم والشراء منهم أو مدهم ببعض النقود القليلة، كانت باستمرار تُفكّر لو أن لديهم من يهتم بهم ويُراعي حقوقهم واحتياجاتهم لو أن لهم أماكن آدمية يعيشون بها، وكيف يكون بمقدورها مساعدة هؤلاء، كانت تحلم بالقيام ببناء مبنى يحتوي بداخله على كل ما يحتاجه هؤلاء من مأكل وملبس ومشرب وتعليم وتوجيه ليخرجوا للمجتمع أناس صالحين ومصلحين ولكن كيف لهذا الحلم أن يتحقق!

دائمًا هناك أمل

أشرف: كيف أساعد مروان لتخطي هذه المرحلة؟

الدكتور المعالج لمروان: كل ما أريده منك أن تعمل على تشجيعه وإعطائه الأمل الحالة النفسية مهمة للغاية في جميع مراحل العلاج، وعليك أن تُحاول يوميًا إسناده لمدة ربع ساعة في محاولة الوقوف على قدميه.

أشرف: حقًا هناك أمل أن يستطيع مروان السير على قدميه من جديد، حقًا يمكنه الاستغناء عن هذا الكرسي البغيض!

الدكتور المعالج لمروان: نعم هناك أمل كبير ولكن لا أُخفي عليك الأمر قد يطول لأكثر من سنة.

أشرف: سأفعل كل ما في وسعي فهو هنا في المستشفى التي أعمل بها أيضًا، سوف أباشر عملي وأكون معه من وقت لآخر فلا حاجة لي بغيره.

الطبيب: أعانك الله على ما تحمله في قلبك من محبة لصديقك، نِعم الصديق أنت يا دكتور أشرف.

أشرف: مروان يستحق.

الطبيب: نعم، كلنا حزنا لما هو فيه، طمأننا الله عليه، وبارك له فيك.
أشرف: اللهم آمين.

....

دخل أشرف لغرفة مروان...
مروان: أستطيع أن أشعر بها، أعلم أنها مشتاقة إليَّ الآن مثل اشتياقي لها، أشعر كم تحمل من آلام داخلها ولا تتحدث إلى أحد بما يحوي قلبها، ولكن أن تراني مهملًا لها خير من أن تراني على هذه الحالة أو تعلم بحالي.

أشرف: غريبة طريقة تفكيرك يا مروان لو أنني في مكانك لم أكن لأفعل مثلما فعلت، ولم أخفِ أمرًا مثل هذا عن أهلي وأحبابي، لو كنتُ بمكانك لأصبح شعوري باحتياجي إلى وجودهم في مثل هذه الأزمة أقوى من أي شعور آخر.
مروان: من قال لك أنني لا أشعر باحتياجي إليهم، أنا في حاجة لدعوة من أمي بالشفاء العاجل، وظهر أبي حتى أستند عليه، وقرب أختي لتقوم على رعايتي وتبتسم في وجهي، وبحاجة إلى حضن وابتسامة من زوجتي وحبيبتي لتُشفى جراح روحي قبل جسدي، ولكن ما مرت به ليس بهين، أهون عندي الاطمئنان على حالها من

بعيد وتكون بخير على أن أراها هنا تتعذب من جديد المرة الثالثة من أجلي..

أشرف: أنا بجانبك يا صديقي لن أتركك حتى تشفى وتعود إلى سارة وأهلك سالمًا.

مروان: دُمت خير صديق.

سرٌ يحتويه القلب

كل ما حدث لم يؤثر بشكل من الأشكال على العلاقة بين هنا وسارة فســرعان ما تذوب بينهما المواقف الصــعبة.. فرحت هنا بنجاح ســارة أكثر مما فرحت بنجاحها ربما لأنها لم تكن تهدف ســوى للنجاح وهنا تعرف جيدًا كيف تصــل لما تريد وفي آخر عام قبل التخرج تقدّم لخطبتها ضابط بالجيش وهو أخ لأحد الأصدقاء التي تقرّبت منهم هنا حين رآها يومًا مع أخته وهو يأخذها من الجامعة حيث كان في مكان قريب وقد شــدّت انتباهه وتقدّم إليها، كان شديد الوسامة وعلى درجة عالية من الأخلاق، من أسرة متوسطة على درجة عالية من الذوق والاحترام. فرحت هنا وفرحت ســارة لفرحتها كثيرًا وتم تحديد موعد الفرح بعد ســنة ونصــف من الخطوبة أي بعد انتهاء الدراسة لهنا ب 6 أشهر.

بعد التخرج وبينما كان مروان قد أتمّ دراســته ووجد أن هذا هو أنســب وقت ليعرف حقيقة شــعور ســارة نحوه من خلال هَنا فهي الأقرب لسارة دائمًا.

في الحقيقة تفاجأت هنا كثيرًا بهذا الموضوع ولم تُلقِ له بالًا من قبل فأقصــى ما يدور بينها وبين ســارة عنه ما تقوله هنا لها عن مدى

قربه إليها وكم هو لطيف في التعامل معها ويُراعي مشـــاعرها ولا تخافه بل تحبه، وآثار هذا الحديث من مروان عن اعترافه لهنا بإعجابه بســـارة منذ فترة بعض الغيرة في قلب هنا على أخيها ثم هدأت لتُذكّر نفســها أنها ســوف يكون لها حياتها مع ســامي الذي عشــقته كثيرًا وتُيّمت به وأن أخاها من حقه أن يعيش حياته مع من يتمناها قلبه وليس هناك فتاة أنسـب وأجمل من سـارة لتكون زوجة أخيها، ذهبت سـريعًا إلى سـارة لتخبرها بكل شـيء وكل ما دار بينها وبين مروان من حديث عنها وكيف غارت وكيف فكرت وأعادت تفكيرها، نظرت سـارة إليها وابتسـمت وقالت لها: مروان أخ لك بالتأكيد ولكن رأيي فيه بعيدًا عنكِ. إنه شـــاب في غاية الجمال الروحي وســـوف يكون من أشـــهر الأطباء حول العالم لأنه يحمل بداخله طموحًا عظيمًا وطاقة جبارة، وفوق هذا سـوف يكون زوجًا عظيمًا وأبًا أعظم لأولاده ومحل فخر وعزة لهم، ولكني لا أُفكر في أمر الارتباط في تلك المرحلة ولم يخطر ببالي أن مثل هذا اليوم سوف يأتي لأكون أنا الفتاة التي يحلم بها مروان..

ســكتت هنا دقيقة ثم قالت: إنكِ ترفضــين أخي يا ســارة بطريقة مهذبة...

ردت سارة: لا أقصد ولكني الآن غير مستعدة للارتباط ولفترة قادمة لا أعلم مداها...

أرجو أن تتفهمي يا هنا بداخلي أشياء كثيرة قيد الترتيب أولًا ثم بعد ذلك..

قاطعتها هنا قائلة: لم أتوقع هذا الرد يا سارة منكِ إنكِ الآن تقومين بكسر قلب أخي الذي أحبك من كل قلبه.

سارة: هَنا إنكِ لم تفهمي ما أرنو إليه.
هنا: ولا أريد أن أفهم بعد هذا الرد أتمنى لكِ أن تَصلي ذات يوم إلى ما تريدين..

ثم خرجت هَنا من عند سارة دون السماح لنفسها أن تستوعبها أو تتفهم ما تود أن توصله إليها دائمًا ما كانت هَنا متفهمة لسارة ولكن ذلك اليوم لم تستطع أن تفصل بين أخيها وأقرب صديقة إليها منذ الصغر ربما لأنها كان يراودها شيء من الغيرة على أخيها أو كانت تنتظر أن تطير سارة من السعادة عند سماع هذا الخبر وتسعد به ولكن سارة هادئة الطبع بالفطرة ومع ذلك فرحت، ولكن هنا لم تسمع ما في قلبها أو تتفهمه وذهبت لتُخبر أخيها أنها ترفضه ولم تُفكر به من قبل، حزن مروان أشد الحزن وامتنعت هنا عن السؤال على سارة ولاحظ كلا الأبوين من الأسرتين التغير الواضح على وجوههم ولكن لا أحد يعرف ما حدث ولم يعترف لهم أحد هذه المرة بأي شيء.

فرحة قتلها المفسدون

مع اقتراب موعد زفاف هَنا هدأت الأمور بينها وبين سارة، حيث أن والدة سارة تحدّثت إليها ورغم عدم علمها بما حدث بينهما أشارت إلى ابنتها بالتقرب إلى هنا تلك الفترة بالتحديد والتجهيز معها في شقتها وأنه مهما كان الذي حدث بينهما لا بُد من التجاوز لتستمر المحبة، فالأجدر تجاوز الموقف، لا تجاوز الود.

وبالفعل ذهبت سارة وأخبرت هنا أنها ستكون بجانبها ولن تتركها في هذا الوقت وقامت تحتضنها، وأقبلت عليها هنا سريعًا واعتذرت عن موقفها آن ذاك وأنها سعيدة الآن لاكتمال فرحتها التي كان ينقصها وجود سارة بجانبها.

قاموا بشراء ما تبقى من مقتنيات من أجل تجهيز شقة العروس الجديدة سويًا وخلال ذلك كانوا سعداء جدًا.

هنا: أنا في غاية السعادة الآن وأنتِ بجانبي، كنتُ بحاجة لكِ مهما كانوا من حولي لا أحد يُغنيني عن وجودك.

قالت سارة بابتسامة جميلة رقيقة: سوف يغنيكِ عنا سامي بعد ذلك.

هنا: إني أحبه كثيرًا، وأشعر بسعادة تغمر كياني كلما اقترب موعد زفافنا، ولكن صـــدقيني لم تنتهِ حاجتي أبدًا إلى وجودك بجانبي فأنتِ صديقتي والأصدقاء لم ولن يحل محلهم أحد مهما كان ومهما بلغت درجة حبه وحتى لو فاق حبي له حبي لك ســوف تظلي أختي ورفيقة دربي.

عندما عادتا إلى البيت كانتا في غاية الفرح والحبور وتتبادلان أطراف الحديث، وعندما دخلتا إلى المنزل كانت الصدمة..

ســارة كانت تتذكر كل هذه التفاصــيل تتذكر مدى القهر وكســرة القلب حينها لرفيقة دربها التي مهما غابت لم تغب عن بالها لحظة، تتذكر كيف تحول الفرح إلى مأتم، تتألم أيضًــا حينما تتذكر أمها وكيف كان حالها وكان الجميع في حالة تعجز عن وصفها كل معاني الرثاء.

دخلتا المنزل لتجدا هدوءًا تامًا وآثار الدموع على وجه أم العروس، ولكن لا أحد يحكي ماذا حدث، تنظر هَنا إلى ســارة في ذهول فالأمر متعلق بزفافها لأن جميع أفراد أســرتها هنا لا أحد غائب ولا أحد منهم أصابه مكروه.

بعد لحظات طالت من الصــمت قامت الأم لتحتضــن ابنتها ولم تســتطع قول شــيء، هنـا ترتجف وســـارة في ذهول، أتى مروان

ليحتضـن هنا وهو يبكي ثم قال: "سـامي شـهيد سـوف تلتقيان في الجنة ذات يوم."

لم تســتطع هنا التماســك، انهارت على الأرض مغمى عليها وظلت فاقدة الوعي فترة ليست قليلة، كلما استفاقت تبكي وتصرخ حتى يقوموا بإعطائها بعض المهدئات التي كتبها الطبيب لها لتذهب في النوم وهكذا على هذه الحالة قرابة شهر، وسارة بجانبها في غرفتها تبكي على حالتها، ويطل مروان من وقت لآخر عليها ليربط على يد أخته ويقبلها.

لقد استشـهد سـامي قبل موعد زفافه بأسـبوعين إثر هجوم من قبل جماعة إرهابية على منطقة في سـيناء ولكنه لم يُخبر أحدًا أنه كان هناك حتى لا يفزع أحد عليه، كان الخبر كالصـاعقة على الجميع. وقوع هذا الخبر كان في غاية القسـوة على قلب أمه فقد توفاها الله عقب موته بأسبوع واحد، كما كان شديد القسوة على هَنا وأهلها، فقد ماتت فرحتها مع موت حبيبها واسـودَّت الحياة في عينيها.

هؤلاء المفسـدون لا يدركون كم قلب دمروا، وكم فرحة قتلوا، وكم حوَّلوا من أفراح لأتراح، وكم من روح تسـببوا في قتل صـاحبها وهو على قيد الحياة، ألا لعنة الله على الظالمين.

ودقّ الأمل

جاء أشــرف إلى مروان بعدما انتهى من عمل عملية جراحية لأحد المرضى..

أشرف: كيف حالك اليوم يا بطل؟

مروان: سوف ترى بنفسك ثمرة مجهودك معي.

أشرف ينظر إلى مروان وعيناه تلمع ويبتسم.

مروان يستند على عكازه ليقف وحده ثم يُمسك بالعكاز رافعه عن الأرض ليقف دون الاســتناد على شــيء لمدة دقيقة، وأشــرف عيناه تدمع من السـعادة بصديقه، أخيرًا سـوف يتماثل صديقه للشـفاء عن قريب، أخيرًا دقّ الأمل المنتظر.

أشــرف: لقد قطعنا الشــوط الأكبر يا بطل وما هو إلا وقت طال أو قصــر الأهم أننا ســنصــل في النهاية، وتعود من جديد تمشــي على قدميك.

مروان: كل هذا بفضلك أنت يا صديقي بعد الله.

أشــرف: كل هذا لا يجزيك يا مروان فأنت دائمًا نعم الصــديق، منذ عامنا الأول في الجامعة وأنت تشــجعني على المذاكرة وتحثني على التفوق وتسهر معي لتشرح لي ما لم أستطع استيعابه، لم أنسَ كل ما قدّمته لي في البداية من أشياء معنوية وأخرى مادية عندما كنتُ أتعثّر في شراء كتبي، دائمًا أنت نعم الصديق يا مروان.

من الذاكرة

نجحت سارة ومروان في مساعدة هنا على تخطي تلك الفترة بإغلاق جميع الطرق إليها للجلوس وحيدة، نعم لم تكن فترة سـهلة على الإطلاق فموت سـامي فجأة وموت أي شـاب قبيل فرحه بهذه الطريقة كفيل بكسـر قلب عروسـه وتحطيمه، في النهاية مضـت وبقي الجرح كالعلقم ولكن الحياة لا بُد أن تسـتمر، وهَنا من محبي الحياة..

تحدَّثت سـارة مباشـرة إلى مروان بعد مضـي تلك المرحلة فيما قالته هَنا له، جلست تفكر قبل القدوم على هذا الفعل طويلًا حتى تستجمع كل قواها ثم عزمت على أن تحدثه.

سارة: مروان هل تسمح لي بالتحدث إليك في مسألة تخصنا.

مروان: أنتِ لستِ في حاجة للاستئذان يا سارة إنكِ تمتلكين مكانة كبيرة في قلوبنا وتلك المكانة عظمت في تلك الأزمة التي مرّت بها هنا، تحدثي فيما تريدين دون قلق.

هذه الطريقة من قبل مروان شجعت سارة كثيرًا وجعلتها تتحدث إليه وقلبها هادئ مطمئن.

سارة: أخجلتني بطريقتك، سوف أحدثك بخصوص ما قالته هنا لي قبل شهرين تقريبًا، وأن ما أردت أن أقوله بخلاف ما اتضح وقتها.. ثم تابعت.. إنني لم أقصد إبعادك بقدر ما أردت ترتيب ذاتي، أشعر بعد التخرج أنني تائهة وأخشى أن يكون كل ما تعلمته هباءً وما أريد أن أتعلمه لا يتم، أتمنى لو أترك بصمة على جبين هذا العالم. كما أنني متعلقة بأبي وأمي وأخشى أن أتركهم ذات يوم. بداخلي أشياء كثيرة متداخلة ومعقدة لا أعلم إلى أين سأصل ومن أين سأبدأ، وأخشى لو تم ارتباطنا تتغير مكانتي بداخلك ويختفي التوهج في عينيك الذي ألمحه عند رؤيتك لي، لا أعلم لمَ أخبرتك بكل هذا الآن ولكني الآن أكثر راحة.

سكت مروان برهة وهو ينظر في عينيها ثم قال لها: أعدك يا سارة أن تلك المكانة لكِ في قلبي سوف تزداد يومًا بعد يوم، لن تنقص أبدًا وأنه مهما كان ومهما سيكون لن أجبرك على فعل شيء، عندما تريدين القيام بعمل ما سوف أبذل كل ما بوسعي لتفعليه ولو كان على حساب راحتي لأن راحتي الحقيقية هي سعادتكِ وراحتكِ، وعندما لا يكون هناك ما تسعين إليه سأكون أنا هنا لأملأ عليكِ الدنيا وأكون لكِ الكون بأسره، وبالنسبة لأمك وأبيك فما يرضيهما ويشعركِ بالأمان عليهم سوف أقوم بفعله لأكون بجانبكِ وتكوني بجانبي في مشوار حياتي فأنا لا أريد زوجة لي غيرك.

هنا خرجت هَنا من غرفتها بعدما سمعت كل ما دار بينهم من حديث، فرحت كثيرًا واعتذرت لسارة على عدم فهمها فيما مضى، كما اعتذرت من مروان عما كانت سبب فيه من جرح له، ثم قالت: لا أريد خطبة بل أريد حفل زفاف عاجل.

قال مروان: أوافق بشدة.

أما سارة ابتسمت ابتسامة خجولة وتأهبت لتذهب لبيتها.

ولكن مروان أخذ هَنا وذهبا معها ليوصلاها بالرغم من قرب البيتين لكنه الآن وإلى الأبد لا يريد تركها أبدًا.

حدّث مروان والده في نفس اليوم وكانت سارة قد حدثت والدتها عما حدث معها هناك فرحت كثيرًا وقبّلت سارة واحتضنتها.

والد مروان ووالدته رحبا أشد ترحيب، وقالت له والدته: كنتُ أريد أن يتم ذلك منذ فترة ولكن لم أرغب أن أعرض أنا هذا عليك وكنت أنتظر أن تأتي لتقوله أنت، وفقكما الله يا بني ورزقكما طيب الحياة.

قام والد مروان بالاستئذان من والد سارة للذهاب عندهم في مساء اليوم وكان الترحيب من جانب العائلتين وتمت الخطبة وتحديد الزفاف بعد مضي 5 أشهر من الخطبة كما اتفقوا على أن يتزوجوا في الشقة الثانية في منزل أهل سارة نظرًا لتعلقها بهم وتعلقهم بها،

وافق مروان ولكنه وضع شرط للموافقة وهو أن يقوم بشراء تلك الشقة وبالفعل دفع ثمنها وأصبحت ملكه.

عاشت سارة أسعد لحظات عمرها مع مروان كان دائمًا يتوهج في عينيها وكلما تحدثت إليه وتقربت منه كلما ازدادت تعلقًا به وحبًا له.

كان حفل الزفاف مقتصرًا على الأقارب والأصدقاء المقربين للعائلتين ولكنه كان حفلًا رقيقًا جميلًا مبهجًا، وفي ليلتها بعد صعود مروان وسارة إلى الشقة التي قرر مروان شراءها من والد سارة لكي يقبل بالعيش فيها أخرج من جيبه ورقة وأعطاها لسارة، نظرت إليه مستفهمة أشار إليها بفتحها لتجد أنه قد باع لها الشقة لتصبح الآن ملكًا لها.

نظرت إليه سارة ودموعها من الفرحة تغلبها، كفكف مروان دموعها بيديه وضمها إلى صدره وهو يقول: أنتِ سَكني ومسكني، أنت لُبي وفؤادي أعانني الله على سعادتك في الدنيا ورزقني قربك في الآخرة كما الدنيا..

ولكنها لا تخلو من الكدر

بعد مضي عام من السعادة والاستقرار قرر مروان السفر حيث سمحت له الظروف بإيجاد عقد عمل في دولة أخرى، وكانت بالنسبة له فرصة لا تُعوّض يسعى إليها قبل زواجه، ولكن هناك شرط في هذا العقد وهو عدم ترك عمله قبل مضي خمس سنوات من تاريخ استلامه للعمل هناك.

أراد أن تكون سارة معه لكنها رفضت ترك أمها وأبيها وخصوصًا بعدما اكتشفوا إصابة والدتها بسرطان في الصدر.

سارة: اذهب يا مروان. أنا أعلم أنك منذ زمن تنتظر هذه اللحظة لتستطيع تحقيق كل ما تطمح إليه ولو بقيت هنا لن تستطيع تحقيق شيء سوى أن تعيش، لن ألومك يومًا على قرارك.

مروان: ولكني بحاجة لوجودك بجانبي.

سارة: تعلم جيدًا أنني لن أستطيع ترك والدتي في تلك الظروف ووالدي صحته ليست جيدة بسبب تلك العادة فهو إلى الآن مهما حاول لن يستطع الإقلاع عن التدخين، لن أتحمل فراقهم يا مروان وأرجو أن تلتمس لي العذر مثلما ألتمسه لك، ربما لو تغيَّرت الظروف وتحسنت أمي آتي إليك.

ولا تقلق أبدًا دائمًا أنت في قلبي وعقلي وســتكون دائمًا معي رغم بعدك، سوف أشتاق إليك كثيرًا.

ســافر مروان ومضــت أول ســنة وهو يترقي في عمله هناك وســارة تسعى مع أمها وأبيها في علاج أمها وحث أبيها عن ترك التدخين لأجل صحته، وللأسف لم تتحسن والدتها ظلت تصارع المرض لأكثر من سنة ثم ماتت، كان هذا اليوم أصعب أيام حياتها يوم ماتت أمها..

كانت هنا بجوار ســارة وأقســمت ســارة على الجميع ألا يخبر أحد منهم مروان بهذا الخبر كي لا تنغص سـعادته بالترقية الجديدة التي أخبرها عنها أمس، وكان في غاية الســعادة علاوة على ذلك إنها تعلم أنه لو عرف هذا الخبر تلك الفترة ســوف يترك كل شــيء هناك ليكون بجانبها.

مضى الوقت واستطاعت هنا ووالدتها تشجيع سارة وجعلها تُقبل على الحياة من جديد بعدم تركها وحيدة أغلب الوقت، كما اســتطاعت ســارة أن تُخبر مروان بهذا الخبر بعد مضــي شــهر من تاريخه، غضب مروان لأول مرة من تصرف سارة ولكنها شرحت له رؤيتها وامتصَّت غضبه ثم عاد هو ليعتذر لها ويواسيها.

وعدها أنه سوف يُعوّضها عن كل ما فعلت من أجله وأنه لن ينسى أبدًا تضحياتها، في تلك الفترة أباها أُصــيب بمرض الســكري بعد وفاة والدتها من حزنه الشــديد عليها كما أُصــيب بالتهاب رئوي

بســبب التدخين، الآن قرر القرار الصـحيح ولكن في وقت متأخر، وهو الآن يبلغ من العمر 55 عامًا أقلع عن التدخين.
كان حقًا في حاجة إلى وجودها بجانبه لن تسـتطع ســارة السـفر خلال هذا العام وترك والدها في هذه الظروف، تعلم أن مروان تحملها كثيرًا وأنه يشـتاق إليها مثلها وأكثر لمن تترك أبيها في هذه الظروف وليس له غيرها، في النهاية فضَّلت البقاء بجانب والدها.

خلال هذه الفترة تزوجت هَنا من شــاب يعمل في الخارج لم تكن تعلَّقت به، رأى أبوها أنه مناســب تزوجت ســريعًا خلال أشــهر وسافرت معه بفستان زفافها، لم تكن تعلم أنها سوف تندم أشد الندم على الارتباط به..

بعد قرابة شــهر من زواج هنا وذات يوم كانت ســارة قد ذهبت لتشتري بعض الأشياء من خارج البيت وعندما عادت وجدت أباها على غير العادة نهض ليعد الطعام ويقوم ببعض الأعمال المنزلية.
سارة: لماذا أجهدت نفسك يا أبي؟ كنت سأقوم بكل هذا.
والدها: أردت أن أترك لمسة أخيرة في البيت.
ســارة وقد امتلأت عيناها بالدموع: لا تتحدث بتلك الطريقة أنا لن أســتطيع تحمل فراقك أبدًا يا أبي، أرجوك لا تقل مثل هذا الكلام مرة ثانية.

قام ليحتضنها ويُقبّلها على جبينها كالمعتاد وقال وهو يبتسم: هيا لنضع الطعام على السفرة إني أتضور جوعًا ولا تطمعي في إعداده بمفردي علاوة على أن الشاي سيكون من يدك.
ابتسمت سارة وقالت: عيوني لك يا أبي.

انتهى ذلك اليوم بعدما جلست هي ووالدها يتبادلان أطراف الحديث في كثير من الأشياء، كان يومًا جميلًا للغاية ولأول مرة بعد سفر مروان تشعر سارة بالراحة والاطمئنان.

في صباح اليوم التالي دخلت غرفة أبيها لتجده ما زال نائمًا على غير العادة لم يشعر بوجودها وهي في غرفته، اقتربت منه لتجد سكونًا تامًا، انهارت سارة وقامت بالتواصل مع الطبيب المتابع لحالته ثم أتى ليخبرها أنه قد مات..

صرخت سارة كثيرًا كأنها لم تصرخ من قبل الآن، شعرت بكل آلام الدنيا فوق عاتقها شعرت أن قلبها سيخرج من صدرها من شدة الحزن، جاء والد مروان ووالدته قامت باحتضانها والبكاء معها وهي تحاول تهدئتها.

عندما علم مروان هذا الخبر قرر فورًا ترك كل شيء والنزول ليكون بجانبها، كان بهذا سوف يكسر قواعد العقد لأنه ما زال على موعد

نزوله أكثر من عام، ولكن قرر السـفر إلى سـارة ولو لن يسـتطيع السـفر مرة أخرى، وأثناء ذهابه للمطار حدث ما لم يكن في الحسبان فقد تعرّض لحادث مهيب.

مضـى أكثر من أسـبوعين ولا خبر عن مروان، تواصـل أبوه مع صـديقه أشـرف الذي سـافر معه ليطمئن على حال ابنه، أخبره صـديقه أنه بخير وقد تم ارسـاله لمسـتشـفى أخرى للعمل بها فترة قرابة شهر وقد نسي أخذ جواله ولكنه يطمئن عليه من المستشفى نفسها وأنه سوف يُحدّثهم بعد أن يعود مباشرةً.
لم يدخل هذا الكلام عقل والده وزاد قلقه ولكنه لا يملك سـوى التظاهر بالتصديق..

أخذت سارة الصدمة وإحساسها أن مروان تغيرت مشاعره ناحيتها أو كان بريق المال والمكانة التي حققها غالب على حبه لها، ولم يعد فارق له وجودها من عدمه، لم تتحدث مع أحد عرضـت والدة مروان ووالده عليها أن تذهب لتمكث معهم إلى حين تهدأ نفسـيتها وتُسافر إليه ولكنها رفضت وفضّلت المكوث في بيت أبيها وحيدة..

الحادث الذي تعرّض له مروان هو ما جعله يمكث في سـرير المسـتشـفى إلى وقت لم يكن معلوم حيث أن الحادث قد أثّر على الحركة في كلتا قدميه علاوة على الكسـور في يديه وقدميه، ولا بد

بعد فترة أن يخضع للعلاج الطبيعي لفترة طويلة ولكنه لم يستطيع إخبار سارة بكل ذلك وشكر صديقه أشرف على ما قام بفعله وارتاح لعدم إخبار أهله بشيء حتى لا يُصيبهم الذعر عليه وينكسر قلب زوجته ومحبوبته من جديد، يكفي ما عاشته وترك لها هكذا حرية الاختيار بعدما استفاق واستطاع التحدث والتواصل معها ليعرض عليها أن تُسافر إليه، فقد كان يتألم لبعدها وفي نفس الوقت لا يريد أن تراه هكذا بعد كل هذا البُعد.

لم يكن معه سوى صديقه أشرف، يذهب من وقت لآخر لرؤيته عندما ينتهي من العمل وكان مروان شديد القرب من أشرف يحكي معه كل ما يدور بداخله وما يُحزنه ويُقلقه.

الآن قد مضى 6 أشهر وهي على تلك الحالة حتى اعتادت على الوحدة، قامت بتحويل كل ما ورثته عن أبيها إلى أموال وأودعتها في البنك باسمها وعاشت من معاش أبيها كانت النقود تفيض عليها كل شهر، كانت حاجتها للشراء والإقبال على الأشياء تقل تدريجيًا..

أصبحت انطوائية أكثر، عندما قست عليها الأيام وصفعها الشعور بالألم فزاد عن طاقتها، توقف قلبها عن الشعور بأي لذة وعزمت روحها على عدم الالتفات لأي حدث وعدم التأثر بما يدور حولها

مهما عظم شـــأنه، ولكنه ليس هروبًا ربما دفاعًا عن فتات القلب الباقي لديها.

انتبهت سارة للفطور الذي لم تتناول منه سوى كوب الشاي وقامت لتضع الفطور مرة ثانية في الثلاجة...

بعد فترة قررت أن تذهب لوالد مروان لتخبره أنها تريد الطلاق وأن هذا القرار نابع من داخلها ولا تريد التحدث فيه ثانية، قام والد مروان بالتحدث إلى ابنه بعدما تحدّث إليها كثيرًا ليرجعها عن هذا ولم تأبه وشـرح لابنه مدى عزمها على هذا ورفضـها مكالماته بشـكل مباشرة.

قال لوالده: إنه ذنبي يا أبي. وأجهش بالبكاء ثم انقطعت المكالمة، بعدها قام بإرســال رســالة لها: "لن تتخيلي مدى ذهولي من ســماع قرارك، أعلم كيف هو أنا في نظرك الآن ولكني لن أدافع عن نفســي ســوف أقوم بإجراءات الطلاق بالتواصــل مع أبي، آمل ألا ينتابك الندم ولكن أتمنى أن ينتابك الحنين لزوجك المخلص المحب لك.."

قرأت ســارة الرســالة وأخذت تبكي حتى تورمت عيناها ولكنها لم تبعث ردًا ولن تتراجع، وتم الطلاق وانقطعت علاقتها بهنا في تلك الأثناء أيضًــا. تغيرت ســارة كثيرًا بعد موت أمها وأبيها شــعرت الآن

بكســرة النفس وغياب الســند، خصــوصًــا في عدم وجود مروان واقتناعها أنه فضّل عمله ومكانته عليها...

هَنا كانت تعاني في الغربة وحدها فبعد مضــي 6 أشــهر من زواجها تغيّر زوجها كثيرًا.

عزت: لماذا إلى الآن لم يحدث حمل؟

هنا: هذه أول مرة تتحدث بهذا الموضــوع، ولكن إذا كان يهمك الأمر لهذه الدرجة وهو سر تغييرك، فعلينا التوجه إلى طبيب متخصص.

عزت: ليس عندي مانع، استعدي لنذهب في الغد.

كانت هنا خائفة ومتوترة، وتُفكر فيما سيفعله لو اتضح أنها لديها مشكلة...

بالفعل اتضح أن هناك مشكلة لديها ومن أجل حدوث الحمل لا بد أن تتناول دواء لفترة ربما تطول أو تقصر.

بدا الضيق على عزت عند سماعه لهذا، وبكت هنا أشد البكاء من رد فعله.. ولكنها قررت أن تتناول الدواء وتترك الأمر لله وتحاول أن تتحمل طريقته وتغيراته قدر استطاعتها وألا تخبر أحدًا بما حدث.

جلســت ســارة كالعادة في ليالي الشــتاء الباردة، أمام الموقد وحدها تحتسي قهوتها وصوت المطر يملأ أرجاء المكان، هذا الصوت الذي يبعث في نفســها الفرحة الممتزجة بالحنين، نعم تشــعر بالحنين

لمروان ولكن داخلها جرح عميق وعتاب طويل ربما لن يخرج له من صدرها، وبينما هي شاردة الذهن إذ برسالة على هاتفها "اشتقت إليكِ كثيرًا".

ابتسمت ابتسامتها الهادئة وحاولت أن تتناسى ما أرسل إليها وبطريقتها المعتادة في الهروب أودعت هاتفها بعيدًا عن ناظرها حتى لا يغلبها الضعف والاستسلام، وعادت لتجلس بهدوء أمام الموقد لتكمل قهوتها المرة كتلك الليالي...

بعد مضي 5 أشهر آخرين، هي ما زالت وحيدة، وقلبها يملأه الألم، ومروان في الخارج وحيدًا، حياتها يسكنها الهدوء التام والرتابة رغم كل ما تركه لها والدها إلا أنها لم تكن سعيدة، دائمًا الماضي والذكريات تُحاوط عقلها، كتبت لمروان...

"أتمنى أن تشعر ولو لمرة واحدة أنك تتلاشى من داخلي ببطء شديد مميت، أتمنى أن تشعر بغيابك عني قبل فوات الآوان.."

ولكنها بعد صراع كبير بين قلبها وعقلها لم ترسلها إليه.

في فصل الصيف في الثامن من أغسطس قررت الذهاب إلى أحد السواحل لتقضي بعض الوقت هناك ولكن هيهات أن يتغير شعورها فالمشكلة غالبًا ما تكون داخل روحنا وليست في المكان.

نزلت لتجلس على البحر أو حتى تشكي له ما يَختلجها من مشاعر مؤلمة وظلت هكذا لفترة طويلة في تلك المكان تنظر إلى البحر بعيون

حزينة وعقل شـــارد لا تـدري أين هي ولا إلى أين يجب أن تـذهـب، مُشـتتة بمقدار الحزن البادي في عينيها الشـاردة، وبينما هي غارقة في هـذا التيـه إذا بصـــوت طفل ما زال في المهد يبكي على قرب منها قامت متجهة نحو الصــوت وإذا به يطل من حقيبة رمادية اللون فنظرت بـداخلها لتجـد عيون ســوداء يملؤهـا الـدمع يغلفها وجـه شــديد الجمال، لا تدري كم من الوقت مضـى وهي تمسـك به بين ذراعيها وتتأمل ملامحه الصـــافيـة البريئة وتبكي بينما هو أخذ في الهدوء والاستِرخاء.

لم تسـمع بأحد يبحث عن هذا الطفل أخذته وذهبت لتمضـي في إجراءات أخـذه لـديها والقيام برعـايتـه أخـذت الإجراءات فترة من الزمن لحين ظهور أحد يبحث عنه ولكن لا أحد.

انتهـت من الإجراءات وقـامـت بـأخـذه إلى بيتها ورعـايتـه حتى بلغ 3 سـنوات كان شـديد الوسـامة والذكاء كانت تنسـى كل ما حدث لها بنظرة واحدة في عينيه، وقررت أن تحول المنزل الكبير الذي تسكن فيه إلى دار رعاية صغير وتعمل على إدارته، واستطاعت أن تفعلها ومن خلال نشـــر إعلانات عن الحاجة إلى شـــباب وفتيات للعمل معها في هذا العمل العظيم والذي دائمًا ما كانت تحلم به.

اســتطاعت أن تجد عشــرة فتيات وعشــر فتيان من أجل القيام معهـا بمهـام الـدار كمـا كـانوا على درجـة عـاليـة من الـذكـاء الروحي

الذي جذب لهم الكثير من الأطفال فيما بعد وجعلهم يتعلقون بهم كثيرًا.

من ضـمنهم شـاب في الثلاثينات من عمره ذي وجه بشـوش وروح جميلة يُدعى محمود ولديه طفل وسيم أيضًا.

أما سـليم الذي أسـمته على اسـم والدها رحمه الله، والذي كانت ترعاه والذي كان سـببًا في رجوع الحياة لقلبها ومجئ تلك الفكرة لعقلها والقيام بتنفيذها، بعد مضـي ثلاث سـنوات من عمره في حنانها وعطائها فقد رغب في المكوث وسـط الأطفال وتعلق بهم هناك حيث أنهم من نفس عمره تقريبًا ويسـعد بصحبتهم، حزنت سـارة لهذا ولكنها في النهاية لم ترغب أن تكون أنانية وقالت في نفسـها ما ذنب هذا الطفل في عدم إنجابي لأحكم عليه بوجوده الدائم معي وحرمانه من العيش وسـط أصدقاء وإخوة له كما أنني يوميًا معهم ألعب وأتحدث إليهم قبيل العودة إلى شـقتي الجديدة والبعيدة قليلًا، كان عدم إنجابها يُشـعرها بالنقص على الرغم من عدم التوصـل لأي عيب أو مرض يمنعها من الإنجاب فترة زواجها بمروان ولكنه إحساس الأمومة المُلحّ الذي ينتاب كل سيدة في تلك المرحلة..

أثناء تلك الفترة استطاع مروان التحسن والسير على قدميه من جديد وكان يُتابع كل ما يخص سارة من بعيد عنها وفرح بها فرحًا شديدًا عندما اتخذت خطوة فتح دار الرعاية وقدرتها على جعل لها سمعة جيدة فيما يتعلق بشكل هؤلاء الأطفال ورعايتهم والاهتمام بهم وتعليمهم أشد اهتمام، فرح لأنها الآن ستبدأ في تحقق أحد أحلامها الكبرى..

مضت سنة أخرى عمل فيها مروان بكل طاقته ليلًا ونهارًا كان يجمع الكثير من الأموال ليذهب إلى بلده أخيرًا.

مروان: لقد انتهت جميع الإجراءات أخيرًا سوف أذهب إليها يا أشرف.

أشرف: يعز عليَّ فراقك كثيرًا يا مروان، ولكني في غاية السعادة لسعادتك أيضًا على لقائك بسارة.

مروان: لا تقلق سوف أطمئن عليك دائمًا يا صديقي، ولكني خائف يا أشرف من مواجهتها.

أشرف: لا تقلق يا مروان سارة تحبك وتأكد أن قلبها ما زال يحمل الكثير من الحب لك.

مروان: يا ليت يا صديقي!

سـافر مروان وعندما وصـل ذهب إليها في تلك الدار عندها لم تسـتطيع التحدث معه نظرت إليه وسـكتت والدموع تنهمر من عينيها عندما أخذ هو في التحدث إليها ذهبت وغابت عن ناظره لم تعطِ له فرصة يشـرح كل ما مر به لا أن يطلب منها أن تُسـامحه، بكت كثيرًا وظل هو الآخر يبكي، وحدها وبمشـاعر مختلطة حزنًا وجرحًا كبيرًا ورغبة في وجود زوجها الذي كان جانبها لامت عليه بينها وبين نفسها على كل ما حدث كل هذه الفترة.

اسـتطاع مروان في وقت قصـير أن يُثبت كفاءته في مجاله وأخذ شـهرة كبيرة كطبيب عيون، كانت تتدفق عليه الأموال بشـكل كبير فقام بما كان يعد له قبل مجيئه إلى هنا وقام ببناء دار رعاية كبيرة ليكتبها باسـم سـارة هكذا فكّر مروان كتعويض عن كل ما مرت به وترك ظرفًا على المكتب داخل أحد غرف دار الرعاية به ورقتان الأولى يشـرح فيها كل ما مر به أثناء سـفره، والأخرى بها عقد الدار باسـمها، واسـتطاع بطريقة ذكية جلب أحد الأشـخاص ليعرض عليها الذهاب لرؤية افتتاح دار جديدة لرعاية الأطفال وأهمية رأيها بها وبما تنصـح العاملين بها في المسـتقبل، لتكون هناك المفاجأة.. بعدما اطّلعت على الورقتين جلسـت تبكي وهنا دخل مروان وهو يقول لها: هل تسـامحيني الآن؟ نظرت إليه نظرة فيها الكثير من الأسف عما مضى والكثير من السعادة لما في المستقبل.

كانت سارة عاجزة حقًا أمام كل ما يفعله لأجلها ومساندتها وكانت تندم على كل يوم مضى في فراقه...

ذهب إلى أبيه وأمه وفي يده سارة كانوا سعيدين جدًا بلقائهم معًا. وفي نفس اللحظة علامات استفهام على وجوههم، شرح لهم كل ما حدث معه أخيرًا دون تزييف وما كان منهم إلا الترحيب بسارة من جديد فهم يحبونها أشد الحب مثلما أحبوا أسرتها التي كانت وأوضح مروان كل شيء لهنا أخته عن طريق مكالمة لها وعادت الأمور لطبيعتها بينها وبين سارة، وعادت الصديقتان المقربتان لبعضهما البعض.

دبّت السعادة والبهجة في حياة سارة من جديد وشعرت بالدفء والحنان ودق قلبها من جديد مذ رأت مروان لتشعر أنها الآن على قيد الأمل.

أما مروان فقد قرر عدم السفر مرة ثانية والمكوث هنا مع محبوبته وريحانة فؤاده.

ميلاد جديد

عاشـــت من جديد أيامًا جميلة وليالٍ دافئة مع زوجها، كانت تجد السـعادة بين ذراعيه والأمان الحقيقي في وجوده جانبها، اعتادت دائمًا على تشجييعه في عمله وإعطائه الكثير من الحب والوقت له وتذهب كل يوم قرابة ساعتين لتلعب مع الأطفال وتحنو عليهم، ثم تذهب للبيت لتقضي بعض الوقت في القراءة وانتظار عودة مروان لتناول الغداء معه كما يتناولون الإفطار ســويًا، وفي أحد الأيام استيقظت سارة لتجد نفسها تشعر بالدوار والإغماء قام مروان بإبلاغ أحد زملائه ليخبره أنه من الممكن أن يكون حملًا ولكن للتأكد لا بُد من إجراء تحليل لم يخبر سارة سوى بأن عليها أن تقوم بعمل صورة دم بسبب احتمال وجود أنيميا، كان لا يريد أن يعلقها بأمل ربما يكون كاذبًا على الرغم من تعلقه هو بهذا الأمل واشــتياقه لإنجاب طفل منها وحرصه على عدم مضايقتها بهذه السـيرة. منذ ســنين وخلال العام الأول من زواجهما كانت تكتئب كلما أشـار إلى هذا الموضــوع وكانت تخبره أنها لا تريد تلك الفترة أن تتحمل مســؤولية طفل، ولكن الآن هي لا ترغب بالتحدث معه في هذا لأنها

رفضت سابقًا، وهو لا يريد أن يؤذي مشاعرها بأي شكل كان فقد رأت من العذاب ما يكفي وعاشت الكثير من الألم..

ذهبا للقيام بعمل التحليل لها وكل منهما متوتر ويخفي قلقله عن الآخر..
قام المعمل الذي أجرى فيه التحاليل بإرسال نتيجة التحليل لمروان عبر هاتفه، وكانت المفاجأة...

مروان ودموع الفرح في عينيه: لقد ظهرت نتيجة تحاليلك يا سارة إنكِ الآن تحملين قطعة مني ومنك بداخلك.
ارتمت سارة في حضنه وهي تبكي أيضًا بكاءً شديدًا لم تبكِ منذ زمن من طغيان السعادة إلا في تلك اللحظة وأطلقت لنفسها العنان لم يتركها مروان من أحضانه إلا بعدما جفت دموعها وهدأت لتذهب في نوم عميق بين ذراعيه.

فرح والدا مروان أشد الفرح بهذا الخبر وبكيا أيضًا من السعادة الآن يعدان الثواني لاستقبال أول حفيد لهما وأول فرحة تغمرهما بعد مضي سنوات من الحزن..

"لم يحدث حمل" قالها الطبيب المعالج وهو ينظر إلى التحاليل التي قامت هنا بها كالمعتاد كل شهرين.

بكت هنا بسبب رد فعل زوجها وقوله لها: إلى الآن لا أستطيع حمل طفل لي.

عاشت أيامًا قاسية وحدها ولم تجد الوقت المناسب لتُخبر سارة على الرغم من رجوع العلاقة بينهم إلى طبيعتها ولكن الجميع اعتاد على هنا وهي تضحك وهي تقع وتنهض سريعًا لا شيء يكسرها. الجميع اعتاد عليها قوية فكيف تخبرهم بهذا الخبر، يعز عليها ما سوف تراه في عيونهم من إشفاق على حالها، ولكنها لم تستطع المجاهدة كثيرًا، فقد سئمت طريقة زوجها وتغيّره عليها منذ علمه بهذا الخبر كان معها في البداية رقيقًا جدًا وحنونًا للغاية والآن ماذا حدث تغيّر لأنها لن تنجب له طفلًا بالرغم من تعلقها به قررت بعد سنوات من الزواج قرارًا صعبًا جدًا، خصوصًا بعد علمها بأنه أخبر أقاربه بكل شيء...

اتصل والدها بأخيها مروان ليخبره بأنه يريده في أمر هام وكان صوته مختنقًا وفي هذا الوقت اتصلت هنا بسارة لتخبرها بكل شيء بعد لوم وعتاب سارة لهنا على تحمل كل هذا وحدها وافقتها الرأي وشجعتها على تنفيذه وعدم الرجوع فيه.

أخبر والد هنا أخاها بكل ما حدث معها وأشار مروان على والده بنزول هنا من هناك وترك هذا الزوج اللئيم وذهب إلى هناك ليأتي

بأخته وقد تم طلاقها بعدما قامت بالتنازل عن كل حقوقها وهذا ما صدم أخاها وأباها ولكن حجتها كانت أنه اشترط عليها أنها لو لم تتنازل له عن كل شيء لن يقوم بعتقها...

كانت والدتها حزينة على حالها ولكنها كانت تقاوم حتى لا تزيد من حزنها، سـارة ومروان كانا يعملان دائمًا على التخفيف عنها وسـارة دائمًا تأخذها معاها لدار الرعاية من أجل أن تسـتمتع بالجلوس وسط الأطفال واللعب معهم.

كانت شهور الحمل ليست بهينة على سارة فقد تعبت كثيرًا ومرت بأوقات صعبة ولكنها كانت تتحمل من أجل لحظة رؤية صغيرتها..
بدأت سـارة في شـهرها الثامن وقد اتفقت مع مروان على تسـميتها باسـم هنا ولكنهم لم يخبروا أحد بهذا فقد أرادوا أن يسـعدوا قلب هنا فقط، خلال هذا الشهر لم تذهب سارة لدار الرعاية سوى مرة واحدة في الأسـبوع حتى أتى موعد الولادة كانت سـارة خائفة جدًا وكانت هنا بجوارها ووالدة عمر، دخلت غرفة العمليات لإجراء عملية الولادة ومروان بجانبها، خرجت هنا ولم تخرج سارة..

دخلت سارة بعد الولادة في غيبوبة طويلة ولا أحد استطاع أن يقرر هل سوف تستفيق أم لا، ولا إلى أى مدى ستبقى هكذا...

لم يتحرك مروان من جانبها حتى أنه ترك ابنته لتهتم بها والدته وأخته أيضًا من وقتٍ لآخر حيث أن قلبها منفطر هي الأخرى على صديقة عمرها..

في دار الرعاية حزنٌ بادٍ على جميع الوجوه، جميع من في الدار قلقين عليها ويسألون عنها حتى الأطفال هناك لاحظوا غيابها وانقطاعها عنهم لمدة شهر ففي الفترة الأخيرة كانت تذهب إليهم يومًا في الأسبوع وقبله يوميًا تذهب لتلعب معهم، أما سليم فقد كان يبكي كثيرًا ويطلب أن يراها ويُلح كثيرًا، فقام أحد الشباب بأخذه واستأذن دكتور مروان ليراها وقد كانت سارة أخبرته سابقًا عن سليم ومدى حبها له وتعلقها به، قام دكتور مروان باحتضان الطفل وأخذه ليرى سارة وهي داخل العناية.

سليم: ما زالت تحت تأثير الغيبوبة أريد أن أتحدث معها.
مروان: ادعُ لها كثيرًا يا سليم واطلب من رفاقك الدعاء لها.
سليم: أنا أحبها كثيرًا وأدعو لها كلما اشتقت إليها، وأنا دائمًا مشتاق إلى حضنها الدافئ، وقلبها الطيب.
مروان: هيا يا سليم ودعها.
سليم يبكي بحرقة: وداعًا يا أمي أراك قريبًا في الدار لتلعبي معنا من جديد...

ذهب سـليم مع الشـاب الذي جاء به إلى مروان، وظل هو بجانبها يتأملها سـاعة ويبكيها سـاعة ويهمس لها ويحدثها قائلًا: "انهضـي يا سـارة لا تفطري قلبي عليكِ لا أطيق فراقك يا نبض قلبي، ونور عقلي، لم أشعر بألم في حياتي مثل ألمي الآن على حالك، استيقظي من أجلي ومن أجل ابنتنا التي اشـتاقت إليك كثيرًا، لم أسـتطع السعادة بها يا سارة ولن أُقبّلها دونك، أقسمتُ عليكِ أن تتشبثي بالحياة لأجلي أنا ومن أجل هنا"..

بينما سـليم في طريق العودة إلى دار الرعاية مع محمود تحدث محمود إليه قائلًا: لماذا ما زلت تبكي فقد حققتُ لك رغبتك بزياراتها.

سليم: لأني أعي أنها في حالة خطيرة، نعم أنا صغير في السن لكني أستوعب جيدًا كل ما يدور حولي.

محمود: صـدقني يا سـليم سـوف تكون بخير، جميعنا قلوبنا منفطرة عليها ولكننا ندعو الله لها أن تكون بخير، وعندنا يقين بالله أنها سوف تنجو، فهلا كففت عن البكاء ووضعت تركيزك في الدعاء لها والاهتمام بواجباتك ونفسك من أجل أن تكون سعيدة عندما تراك!

سليم يحتضن محمود وهو يُقبّله: سوف أفعل هذا...

هكذا هم الأصدقاء

مروان يتواصـل مع أخته عندما تذهب إلى البيت ليطمئن من وقت لآخر على هنا ابنته وذات مرة من المرات طلب من أخته هنا شـيئًا لم تتوقعه أو تتوقع تفكيره في ذلك في هذا الوقت تحديدًا.

مروان: اسـمحي لي يا هنا أن أطلب منكِ القيام بعمل هام جدًا بالنسبة لي ولسارة.

توقعت هنا أن مروان سـوف يعرض عليها أن تجلس هي الوقت الأكبر بجانب سـارة ويذهب هو إلى البيت من وقت لآخر لأنها كانت قد عرضـت هذا عليه كثيرًا ورفض، أجابته سـريعًا: نعم يا أخي أنا بجانبكم مرني بكل ما تريد.

مروان: أريد منك أن تشـرفي على إدارة دار الرعاية وتتفقدي حال الأولاد هناك وما ينقصهم وكل ما هم بحاجة إليه.

هنا: ولكني لسـتُ على دراية بالأمور هناك ولم أذهب سـوى مرات قليلة مع سارة من قبل.

مروان: سوف أتواصل مع محمود يقابلك هناك ويوضّح كل شيء، أرجوك يا هنا أريد عندما تسـتفيق سـارة تجد كل شـيء في مسـاره الطبيعي مثلما تركته، قال هذا وصوته مختنق بالبكاء.

هنا وهي تبكي: لا تقلق يا مروان سوف أذهب من أجل صديقتي، ولكن لساعات قليلة يوميًا من أجل هنا الصغيرة.
مروان: شكرًا لكِ يا هنا.

انتهت المكالمة وأخذت هنا تبكي كالمعتاد تحاول التظاهر بالقوة ولكن قلبها انفطر على سارة، لقد نسيت هنا كل ما عانته من ألم وما مرت به من ليالٍ قاسية، نست كل ذلك أمام إحساسها بفقدان سارة للأبد لا يساوي شيئًا، وأخذت تُناجي نفسها "لماذا كلما سمحت لنا الحياة بالقرب أبعدتنا مجددًا! نعم كنا بعيدتان في بعض الأوقات، ولكن يا صديقتي لم أنساكِ ولن يحدث هذا يومًا، كنتُ عندما أحزن أتخيّلك أمامي وأحكي لكِ كل ما بقي من أوجاع حتى أشفى مثلما كنتُ أشفى بلقائكِ، وعندما كنتُ أفرح أستحضر ابتسامتك العذبة لتزداد ابتسامتي، إني أنتظر عودتك."
وأخذت تُناجي ربها ألا تطول هذه الحالة على سارة وألا يريها فيها سوءًا، وأن يجمعهما من جديد على خير، ويُبارك في ابنتها وتربيها هي بنفسها لا أحد غيرها هي ومروان"
كل هذا وهي تحمل هنا ابنة سارة بين ذراعيها وتنظر إليها، تسهر هنا بها وتطعمها وتهتم لنظافتها وكأنها أمها حقًا، فهي تُشبه سارة جدًا وتعلقت هنا بها بسبب هذا التشابه وأيضًا لأنها تحمل اسمها.

والد مروان ووالدته يذهبان من وقت لآخر ليتفقد حال ســـارة وحال ابنه ويرغمه على الطعام معهم ليتناول بالكاد بعضه بسبب حزنه على زوجته وهم أيضًا في حالة حزن من أجلها ومن أجل حال مروان..

قررت هنا أن تذهب لتتفقد أحوال دار الرعاية من اليوم ولكنها انتظرت حتى يذهب والداها إلى مروان ويعودا.

وعندما جاءا تركت ابنة أخيها الجميلة النائمة مثل الملائكة مع جدتها وأخبرتهما أنها ســوف تذهب لدار الرعاية بناءً على طلب مروان.

أبوها: حاولي أن تعودي قبل السابعة مساءً.

هنا: سأعود يا أبي قبل هذا الوقت بإذن الله.

أبوها: في رعاية الله يا ابنتي.

وصلت هنا دار الرعاية وعندما دخلت انتابها ذات الشعور بالضيق والحزن على غياب صــاحبة هذا المكان وعماده، وقررت في نفســها أنها ســوف تفعل كل ما بوســعها من أجل أن تكون ســارة راضــية عندما تستفيق..

دخلت إلى مكتب ســارة ليســتقبلها محمود، شــاب يبلغ من العمر اثنان وثلاثون عامًا، على درجة عالية من الوسـامة، توفي أبواه وهو في ســنٍ صــغير وقامت خالته بتربيته وحفظت أمواله من أمه وأبيه حتى نضــج، كان على درجة عالية من الثقافة والأخلاق، وقد رزقه الله بلين القلب ولين الكلام، وهو في ســـن ال 24 وبعد تخرجه من الجامعة تزوج وسافر إلى الخارج ورزقه الله بولد سماه أنس، ولكن فرحته لم تكتمل فبعد مضــي عامان من ميلاد ابنه توفّت زوجته بعد صـــراع مع الســـرطان، وعاد هو وابنه إلى بلاده، يربي ابنه هنا وســط المقربين له لأنه كان يخشـى أن يصـاب بمكروه وابنه معه في البلاد الغربية.

هنا: مساء الخير.

محمود: مسـاء النور يا أسـتاذة هنا، كنتُ في انتظارك منذ تواصـل الدكتور مروان معي.

هنا: شكرًا لك، كنت أود أن أتعرف على بعض الأشياء هنا و....

قـاطعهـا محمود: أعلم كـل شــيء لقـد أخبرني دكتور مروان أن سيادتك ستكونين هنا بالنيابة عن الأستاذة سارة لحين عودتها.

هنا: آمل أن أسـتطيع فعل ما يتوجب عليَّ فعله لتفرح سـارة عندما تستفيق من الغيبوبة.. قالت هذا وامتلأت عيناها بالدموع.

محمود: ســوف تســتطيعين، لا تقلقي ســوف أكون بجانبك، هذه قائمة بأشياء بسيطة تنقصهم هنا ولكن أول خطوة نحو ما تودين هو القرب من الأولاد الذين هنا، هم بحاجة إلى الحب والمرح أكثر من أي شيء، نقوم أنا وزملائي وزميلاتي بأعمالنا الإدارية والتعليمية معظم الوقت، فليس هناك ما يكفي من الوقت للعب والمرح الذي هم بحاجة إليه، ثم يذهب الزملاء وأبقى أنا لوقت متأخر حتى يعود زميل آخر ليكون هنا ليلًا وهم نيام. أحاول بقدر الإمكان اللعب معهم قبل الذهاب وتركهم وهم يبتسمون، ولكن ليس بكافٍ لهم فمذ دخول الأستاذة سارة في الغيبوبة وحالتهم النفسية ليست على ما يرام...

هنا: إذًا هيا بنا نلعب معهم ونفرّحهم وغدًا ســوف نذهب لنشــتري كل ما يحتاجون إليه.

محمود: هيا.

أنس البالغ من العمر خمس ســنوات وهو ســن أغلب من بالدار تقريبًا يجري ناحية أبيه: أبي كنتُ أبحث عنك.

محمود يحتضــن أنس: ألم أطلب منك من قبل أن تناديني محمود على الأقل هنا.

نظرت هنا إليه باســتغراب، فابتســم محمود وقال: إنه ابني أنس ولكني آتي به إلى هنا ليلعب مع زملائه ويكون تحت ناظري فلا أحد يرعاه غيري.

لم ترغب هنا في ســماع المزيد ابتســمت وقالت: بارك الله لك فيه، هيا يا أنس لنلعب مع بعضنا البعض ادعُ جميع الأولاد هنا.

خلال ثوانٍ جاء جميع الأولاد وأخذت هنا تطمئنهم على سارة وتقول أنها تتحســن، وتحكي لهم ما تود هي ســماعه، ثم جذبتهم إليها بطريقتها الجميلة وروحها المرحة لينتبهوا لها ويلعبوا معها هي ومحمود وملأ الضحك أرجاء المكان، على هذه الحالة ساعة وأكثر، ثم تأهبت هنا للعودة إلى المنزل وقد وعدتهم بالعودة واللعب في اليوم التالي.

ذهبت هنا وبعدها أخذ محمود أنس وذهبوا أيضًــا بعدما أتى زميل آخر إلى الدار.

عادت هنا وهي تشعر بارتياح شديد وفرحة كامنة بعد هذا الوقت القصير الذي قضته في دار الرعاية اليوم، وعزمت على شراء هدايا لهم وألعاب وحلوى كثيرة في اليوم التالي وقد كان، ذهبت إلى الدار بعدما جاءت من عند ســارة وقد أخبرها مروان أن الدكتور المتابع لحالتها يقول أنها تتحسن واحتمال استيقاظها الآن أقوى، ما جعل هنا تفرح بشدة، وأخبرت مروان بكل ما حدث، وأشار إليها أن تفعل

كل ما يتوجب فعله وأنه يثق في محمود ويمكنها الاعتماد عليه في معرفة ما تحتاجه الدار والأولاد.. عندما وصلت إلى الدار كان باسم في انتظارها بالسيارة لشراء الأشياء فهي في مكان واحد ولن يكون هناك إرهاق، أشار إلى هنا أن تبقى تلعب معهم وتمده بالأموال لشراء الأشياء فلم تستجب له، صمَّمت أن تمضي معه من أجل شراء هدايا وألعاب لهم بنفسهم. اشترى محمود الحاجات الأساسية لهم وأودعها داخل السيارة ثم ذهب مع هنا لتشتري ما تريد، أثناء دخول هنا قسم لعب الأطفال داخل المول لمعت عيناها وفرحت مثل الأطفال وكانت تأخذ عدة ألعاب من كل نوع، تأخذ من الألعاب وبعض الحلوى وهي تبتسم ومحمود يتأملها من وقت لآخر ويبتسم..

مروان يهمس لسارة في أذنها هيا يا حبيبتي إني هنا بجانبك وفي انتظار ابتسامتك، اشتقت إليك كثيرًا يا سارة أود أن تطلعي على ما كتبته وأستمع إلى مدحك لي كما كنتِ تفعلين دائمًا...
يحتضنها وتنزل دموعه على خدها وإذا بيد تمسح دموع مروان.. ظن أنها سارة، ولكنها كانت هَنا نظر إليها وهو يبكي، وهَنا لا تستطيع سوى أن تبكي هي الأخرى فقد فقدوا سارة الآن وإلى آخر العمر...

ولأن الحياة لا بد أن تســتمر.. فوهب مروان حياته لطفلته وعمله واهتمامه بدار الرعاية لأجل محبوبته التي رحلت، وتزوجت هنا من محمود الذي مال قلبه لروحها ومال قلبها له، واهتما أشد الاهتمام بإدارة الدار التي ظلت تحت إشــرافهم مع مروان.. وفي صـــباح كل يوم كانوا جميعًا يصلون من أجلها. الجميلة التي رحلت..

وهكذا ختم مروان روايته لم يختمها بموتها بل بحياتها معهم حتى بعدما رحلت.. نعم رحلت ولكن يبقى الأثر..

تمت بحمد الله

مزاج الكتب
للنشر والتوزيع

ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339